

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الأمر بتحقيق الخلافة في الأرض بإقامة الإسلام، والاستسلام لله، والتحذير من حال بني إسرائيل.

● التَّفْسِيرُ:

سُمِّيَتْ سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، وفيها إشارة إلى وجوب المسارعة إلى تطبيق شرع الله، وعدم التلكؤ فيه كما حصل من يهود.

● هذه من الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن، وهي حروفٌ هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمة ومغزى: حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حكمتها: الإشارة إلى التحدي بالقرآن الذي يتكوّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها؛ لذا يأتي غالباً بعدها ذكرٌ للقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

● ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة تنزيله، ولا من حيث لفظه ومعناه، فهو كلام الله، يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

● الذين يؤمنون بالغيب وهو كل ما لا يدرك بالحواس وغاب عنا، مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما

رزقهم الله، بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تقريظ، وهم الذين يؤمنون إيماناً جازماً بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

● هؤلاء الْمُتَصِفُونَ بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بنيلهم ما يرجون ونجاتهم مما يخافون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الثقة المطلقة في نفي الرّيب دليل على أنه من عند الله؛ إذ لا يمكن لمخلوق أن يدعي ذلك في كلامه.
- لا ينتفع بما في القرآن الكريم من الهدايا العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.
- من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب؛ لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تقدر بعلمه من الغيب، ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.
- كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما عنوان السعادة والنجاة.
- الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورثان الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الأخرى.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمْ الْمَفْلُحُونَ ٥

وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ

٢

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْأَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قُلُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَادْخُلُوا إِلَى شِيعَتِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

ولما بين الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهرهم وباطنهم، ذكر صفات طائفة من الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم، فقال:

﴿٦﴾ إن الذين حقت عليهم كلمة الله بعدم الإيمان مستمرين على ضلالهم وعنادهم، فإنذارك لهم وعدمه سواء.

﴿٧﴾ لأن الله طبع على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولما بين الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهرهم وباطنهم؛ بين صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهرهم فيما يبدو للناس، فقال:

﴿٨﴾ ومن الناس طائفة يزعمون أنهم مؤمنون، يقولون ذلك بالسنتهم خوفاً على دمائهم وأموالهم، وهم في الباطن كافرون.

﴿٩﴾ يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، ولكنهم لا يشعرون بذلك؛ لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى، وقد أطلع المؤمنين على صفاتهم وأحوالهم.

﴿١٠﴾ والسبب أن في قلوبهم شكاً، فزادهم الله شكاً إلى شكهم، والجزاء من جنس العمل، ولهم عذاب أليم في الدرك الأسفل من النار، بسبب كذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ.

﴿١١﴾ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها، أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الإصلاح والإصلاح.

﴿١٢﴾ والحققة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد.

﴿١٣﴾ وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ، أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم: أنؤمن كإيمان خفاف العقول؟! والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

﴿١٤﴾ وإذا التقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به؛ يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى رؤسائهم منفردين بهم، قالوا مؤكدين ثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقتكم، ولكننا نوافق المؤمنين ظاهراً سخرية بهم واستهزاء.

﴿١٥﴾ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاء لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، وكذلك يمهلهم ليتنادوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقوا حائرين مترددين.

﴿١٦﴾ أولئك المنافقون الموصوفون بتلك الصفات هم الذين استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما كانوا مهتدين إلى الحق.

﴿١٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن من طبع الله على قلوبهم بسبب عنادهم وتكذيبهم لا تنفع معهم الآيات وإن عظمت.
- أن إهمال الله تعالى للظالمين المكذبين لم يكن عن غفلة أو عجز عنهم، بل ليزدادوا إثمًا، فتكون عقوبتهم أعظم.

﴿١٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثلاً نارياً، ومثلاً مائياً، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها ووطن فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً.

﴿١٨﴾ فهم صمٌّ لا يسمعون الحق سماع قبول، بُكمٌ لا ينطقون به، عمي عن إبصاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿١٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم زعر شديد، فجعلوا يسدون أذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محيط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿٢٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيئ بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم؛ لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الأذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثلين: هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري: لم يستفد مستوفدها غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي: لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروّعهم ويزعجهم من الرعد

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إياهم إلى إفراجه بالعبادة، فقال:

﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ لَكُمْ، رَجَاءُ أَنْ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وَقَايَةً؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٢﴾ فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا مَّهِدًا، وجعل السماء من فوقها مُحْكَمَةً الْبِنَانِ، وهو المنعم بإنزال المطر، فَأَنْبَتَ بِهِ مَخْتَلِفَ الثَّمَارِ مِنَ الْأَرْضِ، لتكون رِزْقًا لَكُمْ، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالاً وأنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ﷻ.

﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ - فِي شَكٍّ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُنْزَلِ عَلَىٰ عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فتحدواكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطاعتم من أنصاركم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما تدَّعون.

﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ - وَلَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا - فاتقوا النار التي توقد بالناس المستحقين للعذاب، وبأنواع الحجارة مما كانوا يعبدونه وغيرها، هذه النار قد أعدها الله وهيباً للكافرين.

﴿٢٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.
- من أعظم الأدلة على وجوب إفراجه بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسجراً لنا.
- عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.

﴿٢٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين؛ فبشر - أيها النبي - المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات؛ بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطعموا من ثمارها الطيبة رزقا؛ قالوا من شدة الشبه بثمار الدنيا؛ هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقدمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يُقبلوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرأة من كل ما تنفر منه النفس، ويستقذّر طبقا مما يُصوّر في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع. ﴿٢٦﴾ إن الله ﷻ لا يستحي من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكبر أو دونها في الصغر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أنّ من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحغيرة؛ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختيارا للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب اتعاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقا للضلال، وهم الخارجون عن طاعته؛ كالمنافقين. ﴿٢٧﴾ الذين ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليهم بعبادته وحده واتباع رسوله الذي أخبرته به الرسل قبله، ويقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الناقصة حظوظهم في الدنيا والآخرة. ﴿٢٨﴾ إن أمركم - أيها الكفار - لعجب! كيف تكفرون بالله، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدما لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموتة الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم. ﴿٢٩﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يحصى عدده، وأنتم تتفنون به وتستمتعون بما سخره لكم، ثم قصد إلى خلق السماء فخلقهن سبع سموات مستويات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿٣٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التنغيص، ولا يخالطها أي أذى.
- الأمثال التي يضر بها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٨﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثِيَّتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَقُلْنَا يَكَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ فَآذَنَّا لَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٤٢﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾

﴿٣٦﴾ يخبر الله تعالى أنه سبحانه قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً، للقيام بعمارته على طاعة الله، فسأل الملائكة ربهم - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلماً، قائلين: ونحن أهل طاعتك، ننزهك حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفتر عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٣٧﴾ ولبیان منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد وغير ذلك؛ أنفاظها ومعانيها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة قائلًا: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيما تقولون: إنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٣٨﴾ قالوا - مُعْتَرِفِينَ بنقصهم مُرْجِعِينَ الفضل إلى الله - : نُنْزِلُكَ ونُعْظِمُكَ يَا رَبَّنَا عن الاعتراض عليك في حكمك وشرعك، فتحن لا نعلم شيئاً إلا ما رزقنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم الذي تضع الأمور في مواضعها من قدرك وشرعك.

﴿٣٩﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أقل لكم: إني أعلم ما خفي في السماوات وفي الأرض، وأعلم ما تظهرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم. ﴿٤٠﴾ يبين الله

تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامثال أمر الله، إلا ما كان من إبليس الذي كان من الجن. فامتنع اعتراضاً على أمر الله له بالسجود وتكبُّراً على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى. ﴿٤١﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكُلَا منها أَكْلاً هَنِئِئاً وَاسْعَاً لا مُنْعَصَ فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعضيان ما أمرتكم به. ﴿٤٢﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين: حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمعُّن بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي آجالكم، وتقوم الساعة. ﴿٤٣﴾ فأخذ آدم ما أنقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيمٌ بهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره.
- رَفَعَ القرآن الكريم منزلة العلم، وجعله سبباً للتفصيل بين الخلق.
- الْكِبَرُ هو رأس المعاصي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عُصِيَ الله بها.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَرِبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٢٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعًا من الجنة إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي رسلي، فمن اتبعها وأمن برسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٢٩﴾ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا؛ فأولئك هم أصحاب النار، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٤٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبرسلي، والعمل بشرائعي، فإن وفيتهم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإياي وحدي فخافوني ولا تنقضوا عهدي.

﴿٤١﴾ وأمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقًا لما جاء في التوراة قبل تحريفها في شأن توحيد الله، ونسبه محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمنًا قليلًا من جاه ورياسة، واتقوا غضبي وعذابي.

﴿٤٢﴾ ولا تخطئوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به ويقينكم منه.

﴿٤٣﴾ وأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ.

﴿٤٤﴾ ما أقبح أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم، وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تتفكرون بعقولكم؟

﴿٤٥﴾ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر وبالصلاة التي تقرّبكم إلى الله وتصلحكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٤٦﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم راجعون ليجازيهم على أعمالهم. ﴿٤٧﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنسبة والملك.

﴿٤٨﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا، ولا تُقبل فيه شفاعة أحد بدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله، ولا يؤخذ فداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فأين المفر؟

من قَوَايدِ الْآيَاتِ:

- من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.
- الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونه كلها.
- في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشفعاء ولا الفداء، ولا ينفعه إلا عمله الصالح.

﴿٤٨﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين أنقذناكم من أتباع فرعون الذين كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛ حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا يكون لكم بقاء، ويتركون بناتكم أحياء حتى يكن نساء ليعبدنهم؛ إمعاناً في إذلالكم وإهانتهن، وفي إنجائكم من بطش فرعون وأتباعه **اختبار عظيم** من ربكم؛ لعلكم تشكرون.

﴿٤٩﴾ واذكروا من نعمنا عليكم أن **شقنا** لكم البحر فجعلناه طريقاً يابساً تسيرون فيه، فأنجيناكم، وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

﴿٥٠﴾ واذكروا من هذه النعم مواعدتنا موسى أربعين ليلة ليتيم فيها إنزال التوراة نوراً وهدي، ثم ما كان منكم إلا أن **عبدتم** العجل في تلك المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا. ﴿٥١﴾ ثم **تجاوزنا** عنكم بعد توبتكم، فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله بحسن عبادته وطاعته.

﴿٥٢﴾ واذكروا من هذه النعم أن آتينا موسى **التوراة فرقاناً بين الحق والباطل** وتمييزاً بين الهدى والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

﴿٥٣﴾ واذكروا من هذه النعم أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل، حيث قال موسى **لکم**؛ إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل الهادئ، فتوبوا وارجعوا إلى **خالقكم** وموجدكم، وذلك بأن **يقتل بعضهم بعضاً**؛ والتوبة على هذا النحو خير لكم من التماادي في الكفر المؤدي إلى الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ ۖ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

التوبة رحيم بعباده.

﴿٥٨﴾ واذكروا حين قال آباؤكم مخاطبين موسى **بجراً**؛ لن نؤمن لك حتى نرى الله **عياناً لا يُجِيب عنا**، فأخذتكم النار المحرقة، فقتلتكم وبعضكم ينظر إلى بعض.

﴿٥٩﴾ ثم **أحييناكم** بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

﴿٦٠﴾ ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا **السحاب يظلكم** من حر الشمس لما تهتم في الأرض، وأنزلنا عليكم من نعمنا **شرباً حلواً مثل العسل**، و**طائراً صغيراً طيب اللحم** يشبه السماني، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما **نقصونا** شيئاً بجحدهم هذه النعم وكفرانها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتمريضها للعقاب.

﴿٦١﴾ **من قوايد الأيات**؛

- عظم نعم الله وكثرتها على بني إسرائيل، ومع هذا لم تردهم إلا تكبراً وعناداً.
- سعة حلم الله تعالى ورحمته بعباده، وإن عظمت ذنوبهم.
- الوحي هو الفيصل بين الحق والباطل.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلاً هنيئاً واسعاً، وكونوا في دخولكم راكعين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا حطَّ عنا ذنوبنا؛ نستجب لكم، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم ثواباً على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرفوا القول، فدخلوا يزحفون على أدبارهم، وقالوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذاباً من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في التَّيِّه، ونالكم العطش الشديد، فنضَّرع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه تفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبيتنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسعوا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فملَّيْتُمْ من أكل ما أنزل الله عليكم مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وقتلتم: لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو

الله أن يخرج لكم من نبات الأرض من بقولها وحُضْرها وقِثَّائها (يشبه الخيار لكنه أكبر) وحبوبها وعدسها وبصلها؛ طعاماً؛ فقال موسى ﷺ - مستنكراً طلبكم: أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب -: انزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتهم في حقولها وأسواقها. وياتباعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لآزمتهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلماً وعدواناً؛ كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

● مِنْ قَوَائِدِ آيَاتٍ:

- كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرفها فيه شُبَّهَ من اليهود، وهو مُتَوَعَّدُ بعقوبة الله تعالى.
- عظم فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلط الأعداء عليه.

﴿٦٢﴾ إِنَّ مَنْ آمَنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد ﷺ من يهود ونصارى وصابئة - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء - من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم الآخر؛ فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

﴿٦٣﴾ واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى.

﴿٦٤﴾ فما كان منكم إلا أن أعرضتم وعصيتهم بعد أخذ العهد المؤكد عليكم، ولولا فضل الله عليكم بالتجاوز عنكم، ورحمته بقبول توبتكم؛ لكنتم من الخاسرين بسبب ذلك الإعراض والعصيان. ﴿٦٥﴾ ولقد علمتم خبر أسلافكم علماً لا لبس فيه؛ حيث اعتدوا بالصيد يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بنصب الشباك قبل يوم السبت، واستخرجوها يوم الأحد؛ فجعل الله هؤلاء المتحايين قردة منبوذين عقوبة لهم على تحاليلهم. ﴿٦٦﴾ فجعلنا هذه القرية المعتمدية عبرة لما جاورها من القرى، وعبرة لمن يأتي بعدها؛ حتى لا يعمل بعملها فيستحق عقوبتها، وجعلناها

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

﴿١٠﴾

تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله وانتقامه ممن يتعدى حدوده.

﴿٦٧﴾ واذكروا من خبر أسلافكم ما جرى بينهم وبين موسى ﷺ، حيث أخبرهم بأمر الله لهم أن يذبحوا بقرة من البقر، فبدلاً من المسارعة قالوا مُتَعَبِّتَيْنِ: أتجعلنا موضعاً للاستهزاء؟ فقال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الذين يَكْذِبُونَ على الله، ويستهزئون بالناس.

﴿٦٨﴾ قالوا لموسى: ادع لنا ربك حتى يبين لنا صفة البقرة التي أَمَرْنَا بِذَبْحِهَا، فقال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة ليست كبيرة السن ولا صغيرة، ولكن وسط بين ذلك، فبادروا بامتثال أمر ربكم.

﴿٦٩﴾ فاستمروا في جدالهم وتعنّتهم قائلين لموسى ﷺ: ادع ربك حتى يبين لنا ما لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تُعْجِبُ كل من ينظر إليها.

﴿٧٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الحُكْمُ المذكور في الآية الأولى لما قبل بعثة النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فإن الدين المَرْضِيَّ عند الله هو الإسلام، لا يقبل غيره، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥).
- قد يُعْجَلُ الله العقوبة على بعض المعاصي في الدنيا قبل الآخرة؛ لتكون تذكرة يتعظ بها الناس فيحذروا مخالفة أمر الله تعالى.
- أن من ضَيَّقَ على نفسه وشَدَّدَ عليها فيما ورد موسعاً في الشريعة، قد يُعَاقَبُ بالتشديد عليه.

(٧١) ثم تَمَادَوْا فِي تَعْتُهُمْ قَاتِلِينَ: ادْعُ لَنَا رَبِّكَ حَتَّى يَبِينَ لَنَا مَزِيدًا مِنْ صِفَاتِهَا: لِأَنَّ الْبَقْرَ الْمُتَصِفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ كَثِيرٌ لَا نَسْتَطِيعُ تَعْيِينَهَا مِنْ بَيْنِهَا. مُؤَكِّدِينَ أَنَّهُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَهْتَدُونَ إِلَى الْبَقْرَةِ الْمَطْلُوبِ ذَبْحِهَا. (٧٢) فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنْ اللَّهُ يَقُولُ: إِنَّ صِفَةَ هَذِهِ الْبَقْرَةِ أَنَّهَا غَيْرُ مَذْلَلَةٍ بِالْعَمَلِ فِي الْحِرَاثَةِ، وَلَا فِي سَقَايَةِ الْأَرْضِ، وَهِيَ سَالِمَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، لَيْسَ فِيهَا عِلَامَةٌ مِنْ لَوْنٍ آخَرَ غَيْرَ لَوْنِهَا الْأَصْفَرِ، وَعِنْدَئِذٍ قَالُوا: الْآنَ جِئْتُ بِالْوَصْفِ الدَّقِيقِ الَّذِي يَعْينُ الْبَقْرَةَ تَمَاضًا، وَذَبْحُهَا بَعْدَ أَنْ أَوْشَكُوا أَلَّا يَذْبَحُوهَا بِسَبَبِ الْجِدَالِ وَالتَّغَنُّتِ.

(٧٣) وَاذْكُرُوا حِينَ قَتَلْتُمْ وَاحِدًا مِنْكُمْ فَتَدَافَعْتُمْ، كُلٌّ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ تَهْمَةَ الْقَتْلِ، وَيُرْمِي بِهَا غَيْرَهُ، حَتَّى تَنَازَعْتُمْ، وَاللَّهُ مُخْرَجٌ مَا كُنْتُمْ تَخْفُونَهُ مِنْ قَتْلِ ذَلِكَ الْبَرِيِّ.

(٧٤) قَتَلْنَا لَكُمْ: اضْرِبُوا الْقَتِيلَ بِجَزَاءٍ مِنَ الْبَقْرَةِ الَّتِي أَمَرْتُمْ بِذَبْحِهَا: فَإِنَّ اللَّهَ سَيُحْيِيهِ لِيُخَبِّرَ مَنْ الْقَاتِلَ! فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ. وَمِثْلُ إِحْيَاءِ هَذَا الْمَيِّتِ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُرِيكُمْ الدَّلَائِلَ الْبَيِّنَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَهَا فَتُؤْمِنُونَ حَقًّا بِاللَّهِ تَعَالَى.

(٧٥) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ الْحِجَارَةِ، بَلْ أَشَدَّ صَلَابَةً مِنْهَا: فَهِيَ لَا تَتَحَوَّلُ عَنْ حَالِهَا أَبَدًا، وَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَتَتَغَيَّرُ وَتَتَحَوَّلُ، فَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ يَنْبِيعٌ جَارِيَةٌ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالْدَوَابُّ، وَمِنْهَا مَا يَسْقُطُ مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ وَرَهْبَةً، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ قُلُوبُكُمْ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

(٧٦) أَفْتَرَجُونَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ حَقِيقَةَ حَالِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، وَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ؟ وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ عِلْمَائِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ يَغْيِرُونَ أَفْظَافَهَا وَمَعَانِيَهَا بَعْدَ فَهْمِهِمْ لَهَا وَمَعْرِفَتِهِمْ بِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِظَمَ جُرْمِهِمْ.

(٧٧) مِنْ تَنَاقُضَاتِ الْيَهُودِ وَمَكْرِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ اعْتَرَفُوا لَهُمْ بِصَدَقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحَّةِ رِسَالَتِهِ وَهُوَ مَا تَشْهَدُ لَهُ التَّوْرَةُ، وَلَكِنْ حِينَ يَخْلُو الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ يَتْلَاوَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْاعْتِرَافَاتِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقِيمُونَ عَلَيْهِمْ بِهَا الْحُجَّةَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِصَدَقِ النَّبَوَةِ.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أَنَّ بَعْضَ قُلُوبِ الْعِبَادِ أَشَدَّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ الصَّلْبَةِ؛ فَلَا تَلِينُ لِمَوْعِظَةٍ، وَلَا تَرُفُّ لَذِكْرَى.
- أَنَّ الدَّلَائِلَ وَالْبَيِّنَاتِ - وَإِنْ عَظُمَتْ - لَا تَنْفَعُ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقَلْبُ مُسْتَسْلِمًا خَاشِعًا لِلَّهِ.
- كَشَفَتْ الْآيَاتُ حَقِيقَةَ مَا انطَوَتْ عَلَيْهِ أَنْفُسُ الْيَهُودِ، حَيْثُ تَوَارَثُوا الرُّعُونَةَ وَالْخِدَاعَ وَالتَّلَاعِبَ بِالْدِينِ.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولَ
تُشِيرُ إِلَّا أَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَّا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا
أَلَكُنْ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
﴿٧٤﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَآ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٦﴾ * أَفْطَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِذَا الْقَوَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾

يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالْدَوَابُّ، وَمِنْهَا مَا يَسْقُطُ مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ وَرَهْبَةً، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ قُلُوبُكُمْ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

(٧٦) أَفْتَرَجُونَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ حَقِيقَةَ حَالِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، وَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ؟ وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ عِلْمَائِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ يَغْيِرُونَ أَفْظَافَهَا وَمَعَانِيَهَا بَعْدَ فَهْمِهِمْ لَهَا وَمَعْرِفَتِهِمْ بِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِظَمَ جُرْمِهِمْ.

(٧٧) مِنْ تَنَاقُضَاتِ الْيَهُودِ وَمَكْرِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ اعْتَرَفُوا لَهُمْ بِصَدَقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحَّةِ رِسَالَتِهِ وَهُوَ مَا تَشْهَدُ لَهُ التَّوْرَةُ، وَلَكِنْ حِينَ يَخْلُو الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ يَتْلَاوَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْاعْتِرَافَاتِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَقِيمُونَ عَلَيْهِمْ بِهَا الْحُجَّةَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الْاعْتِرَافِ بِصَدَقِ النَّبَوَةِ.

﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسلكون هذا المسلك المشين وكأنهم يفعلون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة، لا يعلمون التوراة إلا تلاوة، ولا يفهمون ما دلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبارهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون - كذباً -: هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمناً زهيداً في الدنيا، مثل المال والرئاسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتبته أيديهم مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورئاسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا - كذباً وغروراً -: لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أياماً قليلة، قل - أيها النبي - هؤلاء: هل أخذتم على ذلك وعداً مؤكداً من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف وعده، أو أنكم تقولون على الله - كذباً وزوراً - ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء؛ فإن الله يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به ذنوبه من كل جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازمتها، ما كثر فيها أبداً.

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازمتها، ما كثر فيها أبداً.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل -

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ تَرَوُا بِهِ شَيْئاً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرٌ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَأَفْؤَلَتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توجّدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلاماً حسناً، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر بلا غلظة وشدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقها طيبة بها أنفسكم، ثم بعد هذا العهد الذي أخذ عليكم انصرفتم معرضين عن الوفاء به إلا من عصمه الله منكم، فوفى الله بعهده وميثاقه.

﴿٨٤﴾ مِن قَوَائِدِ آيَاتٍ،

- بعض أهل الكتاب يدّعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله؛ فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- مع عظم المواثيق التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها، لم يزد هم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.

﴿٨٤﴾ وَاذْكُرُوا الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ الَّذِي أَخَذْنَاهُ عَلَيْكُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ تَحْرِيمِ **إِرَاقَةِ** بَعْضِكُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَتَحْرِيمِ إِخْرَاجِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ، ثُمَّ **اعترفتم** بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

﴿٨٥﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ تَخَالِفُونَ هَذَا الْعَهْدَ؛ **فَيَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**، وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ **مُسْتَعِينِينَ عَلَيْهِم بِالْأَعْدَاءِ** ظُلْمًا وَعَدْوَانًا، وَإِذَا جَاؤُوكُمْ أَسْرَى فِي أَيْدِي الْأَعْدَاءِ **سَيِّئْتُمْ فِي دَفْعِ الْفِدْيَةِ** لِتَخْلِيصِهِمْ مِنْ أَسْرِهِمْ، مَعَ أَنْ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، فَكَيْفَ تُوْمِنُونَ بِبَعْضِ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ وَجوبِ فِدَاءِ الْأَسْرَى، وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ مَا فِيهَا مِنْ صِيَانَةِ الدِّمَاءِ وَمَنْعِ إِخْرَاجِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ؟ فَلَيْسَ لِلَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ جَزَاءٌ إِلَّا **الذِّلُّ وَالْمُهَانَةُ** فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ يُرَدُّ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَلَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَسَيَجْزِيكُمْ بِهِ.

﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ **اسْتَبَدَلُوا** الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، إِثَارًا لِلْفَاسِي عَلَى الْبَاقِي، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ لَهُمْ نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ يَوْمَئِذٍ.

﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ، وَآتَيْنَاهُ بِرُسُلٍ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى أَثَرِهِ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ **الْوَاضِحَةَ** الْمُبَيَّنَةَ لَصَدِّقِهِ: كِلَاهِمَا الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءُ مَنْ وُلِدَ أَعْمَى، وَإِبْرَاءُ الْأَبْرَصِ، وَ**قَوْنِيَاهُ** بِالْمَلِكِ **جَبْرِيلَ**، أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ عَلَى الْحَقِّ،

وَتَعَالَيْتُمْ عَلَى رِسْلِ اللَّهِ؛ فَضَرَبْنَا مِنْهُمْ تَكْذِبُونَ، وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ؟

﴿٨٨﴾ لَقَدْ كَانَتْ حُجَّةُ الْيَهُودِ فِي عَدَمِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَوْلَهُمْ: إِنْ قُلُوبُنَا **مُعَلَّمَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ** مِمَّا تَقُولُ وَلَا تَفْهَمُهُ، وَلَيْسَ الْحَالُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ **طَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ** بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ.

﴿٨٩﴾ **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:**

- مِنْ أَكْظَمِ الْكُفْرِ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَالْكَفَرُ بِبَعْضِهِ؛ لِأَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ قَدْ جَعَلَ إِلَهَهُ هَوَاءَ.
- عَظُمَ مَا بَلَغَهُ الْيَهُودُ مِنَ الْعُنَادِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالتَّلَاعِبِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى.
- فَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَحْمَتَهُ بِخَلْقِهِ، حَيْثُ تَابَعَ عَلَيْهِمْ إِسْرَافَ الرُّسُلِ وَإِنْزَالَ الْكُتُبِ لَهْدَايَتِهِمْ لِلرَّشَادِ.
- أَنَّ اللَّهَ يَعَاقِبُ الْمَعْرِضِينَ عَنِ الْهَدْيِ الْمَعَانِدِينَ لِأَوَامِرِهِ بِالنَّطَبِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَطَرْدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ؛ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ.

وَاذْأَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٩﴾ ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون: سننتصر على المشركين ويُفْتَحَ لنا حين يُبْعَثَ نبي فتؤمن به وتنبعه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه؛ كفروا به، فلعنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

﴿٩٠﴾ بئس الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله؛ فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا بسبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريفهم التوراة من قبل. وللكافرين بنبوة محمد ﷺ عذاب مُدُلٌّ يوم القيامة.

﴿٩١﴾ وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما سواه مما أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لملئهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين حقًا بما جاؤوكم به من الحق؟!

﴿٩٢﴾ ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه؛ ثم بعد ذلك جعلتم العجل إلهًا تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

الحزن

﴿٩٣﴾ واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويفًا لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجِدِّ واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذاننا وعصينا بأفعالنا، وتمكنت عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل - أيها النبي -: بئس الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر بالله إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اليهود أعظم الناس حسدًا؛ إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردِّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.
- أن الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.
- من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.
- من عادة اليهود نقض العهود والمواثيق، وهذا ديدنهم إلى اليوم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ - يَا يَهُودَ - الْجَنَّةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَالِصَةً لَا يَدْخُلُهَا غَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ؛ فَتَمْنُوا الْمَوْتَ وَاطْلُبُوهُ؛ لَتَنَالُوا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِسُرْعَةٍ، وَتُسْتَرْجِحُوا مِنْ أَعْيَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ هَذِهِ.

وَلَنْ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ أَبَدًا؛ بِسَبَبِ مَا قَدَّمُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

وَلَتَجِدَنَّ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الْيَهُودَ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ مَهْمَا كَانَتْ حَقِيرَةً ذَلِيلَةً، بَلْ هُمْ أَحْرَصُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْعِ وَالْحِسَابِ، وَمَعَ كَوْنِهِمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَيْعِ وَالْحِسَابِ؛ فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَحِبُّ أَنْ يَبْلُغَ عَمْرُهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَيْسَ بِمُتَعَدِّهِ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ طَوْلَ عَمْرِهِ مَهْمَا بَلَغَ، وَاللَّهُ مَطَّلِعٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِصِيرٍ بِهَا، لَا يَخْضِي عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ بِهَا.

قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِمَنْ قَالَ مِنَ الْيَهُودِ: «إِنَّ جَبْرِيلَ عَدُونَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»؛ مَنْ كَانَ مُعَادِيًا لَجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَّلَ بِالْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ: كَالْتَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَدَالًّا عَلَى الْخَيْرِ، وَمُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ، فَمَنْ كَانَ مُعَادِيًا لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَعَمَلُهُ فَهُوَ مِنَ الضَّالِّينَ.

مَنْ كَانَ مُعَادِيًا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَمُعَادِيًا لِلْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ: جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَدُوَّهُ فَقَدْ عَادَ بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ عَلَى صَدَقِكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَمَا يَكْفُرُ بِهَا مَعَ وَضُوحِهَا وَبَيَانِهَا إِلَّا الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ.

وَمِنْ سُوءِ حَالِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ كَلِمًا أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَهْدًا - وَمِنْ جَمَلَتِهِ الْإِيمَانُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْمِلُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَتِهِ، أَعْرَضَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَطَرَحُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ غَيْرِ مِبَالِينِ بِهَا، مُشَابِهِينَ حَالَ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَلَا يَبَالِي بِهَا.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ، وَلِهَذَا يَفْرَحُ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَى الْمَوْتَ.
- حِرْصُ الْيَهُودِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَيَاةٌ حَقِيرَةٌ مَهِينَةٌ غَيْرَ كَرِيمَةٍ.
- أَنَّ مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ تَعَالَى.
- إِعْرَاضُ الْيَهُودِ عَنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَمَا عَرَفُوا تَصَدِيقَهُ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ.
- أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ صَحَّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّهُ شَابَهَ الْجَاهِلَ فِي جَهْلِهِ.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ عَلَى صَدَقِكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَمَا يَكْفُرُ بِهَا مَعَ وَضُوحِهَا وَبَيَانِهَا إِلَّا الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ.

وَمِنْ سُوءِ حَالِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ كَلِمًا أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَهْدًا - وَمِنْ جَمَلَتِهِ الْإِيمَانُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْمِلُ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَتِهِ، أَعْرَضَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَطَرَحُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ غَيْرِ مِبَالِينِ بِهَا، مُشَابِهِينَ حَالَ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَلَا يَبَالِي بِهَا.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ، وَلِهَذَا يَفْرَحُ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَلَا يَخْشَى الْمَوْتَ.
- حِرْصُ الْيَهُودِ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَيَاةٌ حَقِيرَةٌ مَهِينَةٌ غَيْرَ كَرِيمَةٍ.
- أَنَّ مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْهُ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ تَعَالَى.
- إِعْرَاضُ الْيَهُودِ عَنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَمَا عَرَفُوا تَصَدِيقَهُ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ.
- أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ صَحَّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّهُ شَابَهَ الْجَاهِلَ فِي جَهْلِهِ.

﴿١١٦﴾ ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تَقُولُهُ الشَّيَاطِينُ كَذِبًا على مُلْكِ نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبَّت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشَّيَاطِينُ كفروا حيث كانوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحانًا وابتلاءً للناس، وما كان هذان الملكان يَعْلَمَانِ أَيَّ أحد السحر حتى يحذِّره وَيُنْذِرُهُ له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصيحتهما تعلَّم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرة أَيَّ أحد إلا بإذن الله ومشيتته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين. ﴿١١٧﴾ ولو أن اليهود آمنوا بالله حقًا، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله خيرًا لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم. ﴿١١٨﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: ﴿رَاعِنًا﴾؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي ﷺ، يقصدون بها معنى فاسدًا وهو الرعونَة، فتهدى الله عن هذه الكلمة سدًّا لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: ﴿انظُرْنَا﴾؛ أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤذي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجه.

﴿١١٩﴾ ما يحب الكفار - أيًا كانوا: أهل كتاب أو مشركين - أن يُنْزَلَ عليهم أي خير من ربكم. قليلًا كان أو كثيرًا، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير ينال أحدًا من الخلق إلا منه، ومن فضله بَعَثَ الرسول وأنزل الكتاب.

﴿١٢٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان عليه السلام تعاطي السحر، فبرَّاه الله منه، وأكذَّبهم في زعمهم.
- أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان، والساحر كافر، وحكمه القتل.
- لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أمورًا فاسدة يجب تجنبه والبعد عنه.
- أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾

ق

الْجَنَّةُ

* مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
 اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٦٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
 كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
 مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
 وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٦٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١٧٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
 أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١٧١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ
 أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٢﴾

١٧

﴿١٦٦﴾ يبين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فينساها الناس، فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك بعلم الله وحكمته، وأنت تعلم - أيها النبي - أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٦٧﴾ قد علمت - أيها النبي - أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده بما شاء، وينهاهم عما شاء، ويُقرّر من الشرع ما شاء وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٦٨﴾ ليس من شأنكم - أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل؛ كقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ (النساء: ١٥٢)، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم.

﴿١٦٩﴾ تمنى كثير من اليهود والنصارى أن يرُدّوكم من بعد إيمانكم كفارًا كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتمنون ذلك بعدما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا - أيها المؤمنون - عن أفعالهم، وتجاوزوا عن جهلهم وسوء ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم - وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان الكافر يُخَيَّر بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال - إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه. ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين

بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقوية إيمانهم؛ فقال:

﴿١٧٠﴾ أدّوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم إلى مستحقها، ومهما تعملوا من عمل صالح في حياتكم، فتقدموه قبل مماتكم ذخراً لأنفسكم؛ تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، إن الله بما تعملون بصير فيجازيكم كلاً بعمله.

﴿١٧١﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى: إن الجنة خاصة بهم، فقال اليهود: لن يدخلها إلا من كان يهوديًا، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا، تلك أمانيتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل - أيها النبي - رادًا عليهم: هاتوا حجتكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقًا في دعاكم.

﴿١٧٢﴾ إنما يدخل الجنة كل من أخلص لله متوجهًا إليه، وهو - مع إخلاصه - محسنٌ في عبادته باتِّباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿١٧٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقى ما يشاء منها، وكل ذلك بعلمه وحكمته.
- حسدٌ كثيرٌ من أهل الكتاب هذه الأمة، لما خصّها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

على دين صحيح، وقالت النصارى: ليست اليهود على دين صحيح، وكل يتلوفي كتابه تصديق ما كفر به، والأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تقريب، مشابهين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين؛ حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعاً يوم القيامة، يحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى. ﴿١١٣﴾ لا أحد أشد ظلمًا من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فَمَنَعَ الصلاة والذكر وتلاوة القرآن فيها، وسعى جاهداً متسبباً في خرابها وإفسادها؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم؛ لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعهم الناس من مساجد الله.

﴿١١٤﴾ ولله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فإنكم تستقبلون الله تعالى، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها؛ فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع خَلَقَهُ برحمته وتيسيره، عليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١١٥﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولداً! تنزه

وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له عَلَّمَ ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبحانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١١٦﴾ والله سبحانه مُنْشِئ السماوات والأرض وما فيها على غير مثال سابق، وإذا قَدَّرَ أمراً وأراده فإنما يقول لذلك الأمر: ﴿كُنْ﴾؛ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا رادٌ لأمره وقضائه.

﴿١١٧﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركون عناداً للحق: لِمَ لا يكلمنا الله دون واسطة، أو تأتينا علامة حسية خاصة بنا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكذبة من قبل لرسولها، وإن اختلفت أزمנתهم وأمكنهم، تشابهت قلوب هؤلاء مع قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد والعتو، قد أوضحنا الآيات لقوم يوقنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعترهم شك، ولا يمنهم عناد.

﴿١١٨﴾ إنا أرسلناك - أيها النبي - بالدين الحق الذي لا مزية فيه؛ لتبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١١٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أجناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.
- أعظم الناس جُرْماً وأشدّهم إثماً من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.
- تنزه الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو سبحانه لا يحتاج لخلق.

(١٢١) يخاطب الله نبيه موجهًا محذرًا قائلًا له: لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تترك الإسلام، وتتبع ما هم عليه، قل: إن كتاب الله وبيانه هو الهدى حقًا، لا ما هم عليه من الباطل، ولئن حصل الاتباع لهم منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك من الحق الواضح فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل.

(١٢٢) يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة ويتبعونها حق اتباعها، هؤلاء يجدون في هذه الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ، ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى أصرت على كفرها فكان لها الخسران.

(١٢٣) يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

(١٢٤) واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه لا تغني - في ذلك اليوم - نفس عن نفس شيئاً، ولا يُقبل منها فيه أي فداء مهما عظم، ولا تنفعها فيه شفاعة من أحد مهما علا مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

(١٢٥) واذكر حين اختبر الله إبراهيم ﷺ بما أمره به من أحكام وتكاليف، فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقتدى بك في أفعالك

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٧﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٨﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٩﴾ * وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣١﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٢﴾

وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيبًا إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

(١٣٥) واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرجعًا للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعله أمناً لهم، لا يُعتدى عليهم فيه. وقال للناس: اتخذوا من الحجر - الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة - مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأقدار والأوثان وتطهيره لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

(١٣٦) واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعوربه: رب اجعل مكة بلدًا آمناً، لا يُتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك وبالיום الآخر، قال الله: ومن كفر منهم فإني أمتعه بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألجته مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى؛ فلن يرضوا حتى يُخرجوهم من دينهم، ويتابعوهم على ضلالهم.
- الإمامة في الدين لا تُنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى.
- بركة دعوة إبراهيم ﷺ للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق.

﴿١٢٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين كان

يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان - في خضوع وتذلل -: ربنا تقبل منا أعمالنا - ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت السميع لدعائنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿١٢٧﴾ ربنا واجعلنا مُسْتَسْلِمِينَ لأمرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعَرَفْنَا عِبَادَتَكَ كيف تكون، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك؛ إنك أنت التواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿١٢٨﴾ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزل، ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك والردائل؛ إنك أنت القوي الغالب، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿١٢٩﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم إلى غيره من الأديان إلا من ظلم نفسه بسفاهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، ورضي لها بالهوان. ولقد اخترناه في الدنيا رسولاً وخليلاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فقالوا أعلى الدرجات.

﴿١٣٠﴾ اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام حين قال له ربه: **أَخْلِصْ لِي** العبادة، واخضع لي بالطاعة، فقال مجيباً ربه: أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر شؤونهم.

﴿١٣١﴾ ووصى إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: ﴿ **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾، ووصى بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالاً مناديين أبناءهما: **إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ**

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ وَمُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهراً وباطناً.

﴿١٣٢﴾ أم كنتم **حاضرين** خبر يعقوب حين حضرته الوفاة، حين قال لأبنائه سائلاً إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا جواباً لسؤاله: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهاً واحداً لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومتقادون. ﴿١٣٣﴾ تلك أمة قد **مضت** فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأفضت إلى ما قَدَّمَتْ من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تُسألون عن أعمالهم، ولا يُسألون عن أعمالكم، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، بل يُجَازَى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه بعد رحمة الله غير عمله الصالح.

﴿١٣٤﴾ **من قَوَائِدِ الْآيَاتِ**؛

- المؤمن المتقي لا يغتر بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه، ولهذا يُكْتَرُ سؤال الله قبولها.
- بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، حيث أجاب الله دعاءه وجعل خاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.
- دين إبراهيم ﷺ هو الملة الحنيفية الموافقة للفطرة، لا يرغب عنها ولا يزهد فيها إلا الجاهل المخالف لفطرته.
- مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتسك بالحق والثبات عليه.

(١٣٥) وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا يهوداً تسلكوا سبيل الهداية، وقال النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل الهداية. قل - أيها النبي - مجيباً إياهم: بل نتبع دين إبراهيم، المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، ولم يكن ممن أشركوا مع الله أحداً.

(١٣٦) قولوا - أيها المؤمنون - لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من يهود ونصارى: آمنا بالله وبالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا بما أنزل على إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل على الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا بالتوراة التي آتاه الله موسى، والإنجيل الذي آتاه الله عيسى، وآمنا بالكتب التي آتاه الله الأنبياء جميعاً، لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعاً، ونحن له سبحانه وحده مقادرون خاضعون.

(١٣٧) فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار إيماناً مثل إيمانكم؛ فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم فإنما هم في اختلاف وعداء، فلا تحزن - أيها النبي - فإن الله سيكفيكم أذاهم، ويمنعك من شرهم، وينصرك عليهم، فهو السميع لأقوالهم، والعليم بنياتهم وأفعالهم.

(١٣٨) الزموا دين الله الذي فطركم عليه ظاهراً وباطناً، فلا أحسن ديناً من دين الله، فهو موافق للفطرة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا نشرك معه غيره.

(١٣٩) قل - أيها النبي -: أتجادلوننا - يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منّا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق، فإن ذلك لا ينفعكم، فالله هوربنا جميعاً لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي لا تسأل عنها، وكل سيّجزي بعمله، ونحن مخلصون لله في العبادة والطاعة لا نشرك به شيئاً.

(١٤٠) أم تقولون - يا أهل الكتاب -: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية؟ قل - أيها النبي - مجيباً إياهم: أنتم أعلم أم الله؟ فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد كذبوا؛ لأنّ مبعثهم وموتهم كان قبل نزول التوراة والإنجيل؛ ولعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسله، وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أشد ظلماً من الذي كتم شهادة ثابتة عنده عن علمها من الله، كفعل أهل الكتاب، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

(١٤١) تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كل سيجازي على ما قدم.

من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ.
- سُمِّيَ الدين صبغة لظهور أعماله وسُمِّته على المسلم كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.
- أن الله تعالى قد ركّز في فطرته خلقه جميعاً الإقرار بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعوانه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَتُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾